

التحرير والتنوير

والحصر المستفاد من (إنما) قصر موصوف على صفة و (من) ابتدائية أي قصر النجوى على الكون من الشيطان أي جائية لأن الأغراض التي يتناجون فيها من أكبر ما يوسوس الشيطان من أهل الضلالة بأن يفعلوه ليحزن الذين آمنوا بما يتطرقهم من خواطر الشر بالنجوى وهذه العلة ليست قيذا في الحصر فإن للشيطان عللا أخرى مثل إلقاء المتناجين في الضلالة والاستعانة بهم على إلقاء الفتنة وغير ذلك من الأغراض الشيطانية .

وقد خصت هذه العلة بالذكر لأن المقصود تسلية المؤمنين وتصبرهم على أذى المنافقين ولذلك عقب بقوله (وليس بضارهم شيئا) ليطمئن المؤمنون بحفظ إياهم من ضر الشيطان . وهذا نحو قوله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) .

وقرأ نافع وحده (ليحزن) بضم الياء وكسر الزاي فيكون (الذين آمنوا) مفعولا . وقرأه الباقون بفتح الياء وضم الزاي مضارع حزن فيكون (الذين آمنوا) فاعلا وهما لغتان . وجملة (وليس بضارهم) الخ معترضة .

وضمير الرفع المستتر في قوله (بضارهم) عائد إلى (الشيطان) .

والمعنى : أن الشيطان لا يضر المؤمنين بالنجوى أكثر من أن يحزنهم . فهذا كقوله تعالى (لن يضرركم إلا أذى) أو عائد إلى النجوى بتأويله بالتناجي أي ليس التناجي بضر المؤمنين لأن أكثره ناشئ عن إيهام حصول ما يتقونه في الغزوات .

وعلى كلا التقديرين فالاستثناء بقوله (إلا بإذن الله) استثناء من أحوال . والباء للسببية أي إلا في حال أن يكون الله قدر شيئا من المضرة من هزيمة أو قتل . والمراد بالإذن أمر التكوين .

وانتصب (شيئا) على المفعول المطلق أي شيئا من الضر .

انتفى أي الشيطان من ضر كل نفي عموم يفيد النفي سياق في ذكره وهو (شيئا) ووقع A E كل شيء من ضر الشيطان عن المؤمنين فيشمل ضر النجوى وضر غيرها والاستثناء في قوله تعالى (إلا بإذن الله) من عموم (شيئا) الواقع في سياق النفي أي لا ضرا ملابسا لإذن الله في أن يسلب عليهم الشيطان ضره فيه أي ضر وسوسته .

وأستعير الإذن لما جعله الله في أصل الخلقة من تأثير النفوس بما يسول إليها . وهو معنى قوله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) فإذا خلى الله بين الوسوسة وبين العبد يكون اقتراب العبد من المعاصي الظاهرة والباطنة في كل حالة يبتعد فيها المؤمن عن مراقبة الأمر والنهي الشرعيين . وهذا الضر هو المعبر عنه بالسلطان في

قوله تعالى في شأن الشيطان (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) أي فلك عليه سلطان . وهذه التصاريح الإلهية جارية على وفق حكمة الله تعالى وما يعلمه من أقوال عباده وسرائرهم وهو يعلم السر وأخفى .

ولهذا ذيل بقوله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لأنهم إذا توكلوا على الله توكلوا حقاً بأن استفرغوا وسعهم في التحرز من كيد الشيطان واستعانوا بالله على تيسير ذلك لهم فإن الله يحفظهم من كيد الشيطان قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) . ويجوز أن يكون عموم (شيئاً) مراداً به الخصوص أي ليس بضارهم شيئاً مما يوهمه تناجي المنافقين من هزيمة أو قتل إلا بتقدير الله حصول هزيمة أو قتل . والمعنى : أن التناجي يوهم الذين آمنوا ما ليس واقعاً فأعلمهم الله أن لا يحزنوا بالنجوى لأن الأمور تجري على ما قدره الله بنفس الأمر حتى تأتيهم الأخبار الصادقة . وتقديم الجار والمجرور في قوله تعالى (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) للاهتمام بمدلول هذا المتعلق .

(يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير [11]) فصل بين آيات الأحكام المتعلقة بالنجوى بهذه الآية مراعاة لاتحاد الموضوع بين مضمون هذه الآية ومضمون التي بعدها في أنهما يجمعهما غرض التأديب مع الرسول A تلك المراعاة أولى من مراعاة اتحاد سياق الأحكام